



## الحزب الشيوعي السوداني... نحروه أم انتحروا؟

### محاولة انتحار... ومحاولة نحر

معاناة الحزب منذ تأسيسه عام 1974 • دور الاستقلالية في تفكير الحزب • كيف تعامل الحزب مع الواقع الديني والواقع القبلي • أزمة الانتماء الحزبي وأهمية دور الحزب في ذلك • متى بدأ الحزب يشكّل كابوساً للحكم العسكري • أسباب وتداعيات فشل الحزب الشيوعي في محو الأمية في الشمال والجنوب • ظاهرة الماركسية بالموهبة وليس بقراءة الكتب الماركسية • سر انخراط رجال الدين في الحزب الشيوعي وكيف يلقي خطبة الجمعة من كان قبل ذلك يحضر اجتماعاً حزبياً • لماذا وحده الحزب الشيوعي السوداني شارك في مواجهة العدوان الثلاثي على مصر • خروشوف وسر امتعاضه من المواقف العقائدية للشيوعيين السودانيين • المسألة الهيكلية في تنظيم الحزب الشيوعي في السودان • نقطة التحول الخطيرة في حياة الحزب • هل كانت المشاركة في حكومة الأحزاب لمصلحة الحزب • لماذا توزيع أحمد سليمان وليس عبد الخالق محجوب • محاولة تفسير لكلام بابكر عوض الله حول توزيع الشيوعيين • الهزة الكبرى والخطيرة التي تعرّض لها الحزب واتساع ظواهر الانقسام • نميري ولعبته الذكية في زرع الفتنة بين محجوب والوزراء الشيوعيين الثلاثة • مبررات رفض عبد الخالق أحد ثلاثة عروض اقترحها نميري • أسباب مصرية وراء سر تمسك عبد الخالق بالاستقلالية • كيف نجح نميري في اختراق الحزب الشيوعي السوداني • ضغوط سوفياتية للإفراج عن عبد الخالق ورفاقه • الرائدان اللذان أشرفا على اعتقال الشيوعيين أرسلهما نميري إلى موسكو من باب التحدي • يوم قرّر نميري تصفية الشيوعيين رداً على اليافطات والهتافات أمام عبد الناصر والقذافي • متى كان الانتحار ومتى بدأ النحر؟

### كيف حدث الانقلاب؟

أوجه الشبه بين محاولة انقلاب الحزب القومي السوري في لبنان ومحاولة الانقلاب الشيوعي في السودان • الإشكالات التي نشأت عن دعوة نميري المواطنين للإبلاغ عن كل شخص يعتقدون أنه شيوعي • حملات التفتيش الكبيرة بحثاً عن عبد الخالق المتواري • دور القنصاة في محاولة الانقلاب الشيوعي • صلاة الفجر على أصوات القذائف الصاروخية وطلقات الرشاشات • كيف تعاونت مصر وسورية وليبيا مع السودان لضرب الحزب الشيوعي • وفود قيادية من مصر وسورية وليبيا للتهنئة بسحق "القلعة الشيوعية في السودان" • إعدام الشفيق بعد تجريده من وشاح النيلين وصرخته قبل شنقه بلحظات "عاش الشعب السوداني". عاشت الطبقة العاملة • الإجراءات والتطورات بعد شنق عبد الخالق • حكاية بالات القطن السوداني بين الهند والاتحاد السوفياتي • طبيعة الموقف الذي لا يُحسد عليه الكرملين بعد شنق عبد الخالق • نظرة على حملات التفتيش النميرية عن الشيوعيين • الإعلام السوداني الرسمي يركّز على أن الشيوعيين "كفرة وملحدون ومارقون وضالون" • نداءات من "كتائب مايو" للاقتصاص من الفنان محمد وردي وبعض المبعوثين العسكريين • نوعية الإعلانات التجارية التي رافقت حملة مطاردة الشيوعيين وتصفية قياداتهم • الوضع الصحي الدقيق لعبد الخالق قبل شنقه ولعز الدين عامر قبل محاولة الانقلاب الشيوعية • عبد الخالق اختبأ 19 يوماً في منزل قائد الحرس داخل القصر الجمهوري بينما النميري ينتظر خبر القبض عليه • ظروف مأدبة الغداء التي استهدفت إلقاء أهم ركنين في نظام نميري هما مأمون أبو زيد وأبو القاسم إبراهيم • تفاصيل الساعات الأولى للحركة الانقلابية وكيف احتلت دبابات هاشم العطا إذاعة أم درمان على أهون سبيل • خلال بضع دقائق تمّ تجريد جنود سلاح المظلات من السلاح وقيل لهم: امشوا رَوْحوا بيوتكم • من هم الضباط الذين أبادهم الانقلابيون داخل القصر • أخطاء الانقلابيين وأخطاء نميري • أهم ملحق عسكري سوداني بعث ببرقية يهنئ هاشم العطا، و"قوات النصر" بدأت

برقية التهئة بالقول "حصص الحق وإنذكت قلاع الظلم والطغيان" • كيف لم يحسب هاشم العطا حساب السعودية ومصر اللتين لا يمكنهما التسليم بنظام شيوعي في خاصرتهما • الأسباب غير السودانية التي ساعدت على ضرب حركة هاشم العطا • دور نداءات خالد حسن عباس من الإذاعة الليبية بالاتفاق مع الفريق أول محمد أحمد صادق لتغطية التدخل الأساسي • نظرة على شريط الساعات القليلة جداً التي أعيد خلالها نميري إلى السلطة • ما الذي فكر فيه نميري قبل وضع الحبل في عنق عبد الخالق •... وكيف نسي نميري عمق العلاقة بين عبد الناصر وعبد الخالق • كيف سخر هاشم العطا أمام الأحمدين (أحمد حمروش وأحمد فؤاد) من تخوفات السادات بأن للبعث العراقي علاقة بالانقلاب • لماذا إغلاق مطار الخرطوم في وجه طائرة تقل الوفد العراقي • دور الإذاعة الليبية على الصعيد الشعبي في ضرب انقلاب هاشم العطا وعودة نميري • ما الذي جعل السادات يرى أن التدخل أهون الضررين • ضرب المحاولة الانقلابية كان منسجماً مع المادة السابعة من الأحكام الأساسية لاتحاد الجمهوريات الذي رفض نميري المشاركة فيه وكان هاشم العطا على استعداد للمشاركة • انقطاع الانقلاب الشيوعي بين آفاقه المعلنة وبين قاعدته الفعلية ساعد في انهياره • ما الذي قاله عبد الخالق لرئيس المحكمة العسكرية المعروف عنه أنه من القوميين العرب • السودان الأحزان والحذر واضمحلال رحابة الصدور

### ماذا بعد الآن؟

نميري أراد ضرب الاتحاد السوفياتي من خلال ضرب الشيوعيين • ما الذي جعل نميري لا يُصْفِي عبد الخالق والشفيق على طريقة تصفية "الرفيق فهد" في العراق وفرج الله الحلو في سورية؟ • شعارات ما بعد النصفية من بينها "إن السودان يرفض أن يكون مُستعمرة روسية" • سر زيارة محمود الأيوبي وعبد الحليم خدام إلى الخرطوم بعد زيارة موسكو • عندما خشي بربجنيف أن يسقط على طريقة سقوط خروشوف بسبب ما حدث للشيوعيين في السودان • بيان قمة الكتلة الشرقية الذي خصص 42 كلمة تتعلق بالسودان و26 كلمة لكل أزمة الشرق الأوسط • الفرق بين صيغة وزعتها وكالة "تاس" وصيغة وزعتها وكالة "أنباء الشرق الأوسط" المصرية الرسمية عن أحداث السودان ولماذا تضايق السادات كثيراً من ذلك • نظرة على تجربة عبد الناصر وكيف تعامل مع الأحزاب والشيوعيين، وعلى تقليد نميري لهذه التجربة • مناقشة مع قيادي لبيبي حول فكرة الحزب الواحد • هل أن صيغة الحزبين هي الحل المناسب للسودان وهل هذا ممكن التطبيق؟

### لقاءات مع عبد الخالق محجوب

ما الذي جعل عبد الخالق يختار دائرة أم درمان لخوض الانتخابات فيها ضد إسماعيل الأزهرى؟ • مفاهيم عبد الخالق لمستقبل جنوب السودان وللإشتراكية العربية وللنشاط الحزبي السري والعلني • دستور الحزب الشيوعي الذي فرضت الظروف تغييره • المهديّة والختمية من وجهة نظر عبد الخالق • كيف يجمع بعض رجال الدين السودانيين بين عضويتهم في اللجنة المركزية وبين تأدية فريضة الصلاة عندما يؤذن المؤذن • ظاهرة إقبال النساء على الانتساب إلى الحزب الشيوعي السوداني وخلو الحزب من العناصر العسكرية • معلومات عبد الخالق عن المساجين الشيوعيين في العراق ومصر • رأي عبد الخالق أن فلسطين يجب أن تكون جمهورية ديمقراطية وأنه لا مكان لإسرائيل وسط العرب •... ورأيه أيضاً أن حزب البعث لا جذور له في السودان لأنه لم يُعاصر فترة النضال من أجل الاستقلال الوطني • ماذا في رسالة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوداني إلى عبد الناصر الذي استقبل أكثر من مرة عبد الخالق المنفي إلى القاهرة • وجهة نظر عبد الخالق في مسألة صهر الجماهير وصعوبة تحقيقها في السودان • توضيح عبد الخالق لمسألة الهتافات التي أطلقها الشيوعيون في وجه القذافي • المسؤولون السودانيون اقترحوا إبعاد عبد الخالق إلى موسكو فهل إنه اختار القاهرة... لأنها فقط الأقرب إلى الخرطوم؟

### وثائق تشرح أسباب الإنقسام وأساليب التفكير

ليس كالثائق وسيلة يمكن فيها الوقوف على حقيقة الأشياء. ولولا الوثائق التي وضعها الشيوعيون السودانيون لما كان في الإمكان معرفة الأسباب الموجبة لانقساماتهم ناهيك بأساليب تفكيرهم. ومن شأن الوثائق المنشورة في هذا الفصل أن تعطي الفكرة عن مفاهيم الشيوعيين السودانيين بشقيهم.

ومن باب تبسيط الأمور رأى المؤلف (الأستاذ فؤاد مطر) توزيع الوثائق على الوجه الآتي:

**الوثيقة الأولى** - نص التقرير الذي قدّمه عبد الخالق محجوب الأمين العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوداني إلى المؤتمر التداولي لكادر الحزب المنعقد في شباط (فبراير) 1970 وفي هذا التقرير نلاحظ الأمور الأساسية الآتية:

- إنه يعتبر ثورة 1952 في مصر انقلاباً. كذلك الحال بالنسبة إلى ثورة 1969 في السودان.  
- الضباط الذين قاموا بـ "الانقلاب العسكري" في السودان (يقصد النميري ورفاقه) هم من فئات "البورجوازية الصغيرة المتعلمة". وفي هذا النطاق يرى "أن تغيير السلطة وأخذها من يد الرجعيين وإعلان البيانين التقدميين وتعيين وزراء شيوعيين لا تكفي لوصف السلطة بأنها ديمقراطية ثورية".

- مع ذلك يُشير التقرير إلى أن المكتب السياسي للحزب أصدر صباح 25 مايو (أيار) 1969 تعليمات إلى "جميع العناصر الثورية" في القوات المسلحة لدعم "الانقلاب" وضمان نجاحه من الناحية العسكرية. وواضح من ذلك أن في الجيش السوداني عناصر يمكن أن تتلقى تعليمات من المكتب السياسي للحزب الشيوعي.

- يرى التقرير أنه "عندما أقرّت اللجنة المركزية القول بأن السلطة الجديدة (أي حكم النميري) جاءت إلى الحكم وأزلت السلطة الرجعية عن طريق الانقلاب العسكري وضعت في الاعتبار الشروط اللازمة لكي توصف العملية بأنها ثورة أو جزء من ثورة شعبنا...".

- يُشير التقرير إلى أن الحزب الشيوعي السوداني داعية إلى الوحدة بين الدول العربية على أن تتم الوحدة بالرغبة الشعبية لكل بلد عربي ولا تُفرض فرضاً. وفي هذا النطاق يرى أن الخطوات التي سار فيها حكم النميري في صدد الوحدة "تتغاضى عن الشروط اللازمة لإنجاح الوحدة وتؤدي إلى تقوية مواقف الرجعية في بلادنا".

**الوثيقة الثانية** - المؤتمر التداولي وقراراته. يرى عبد الخالق محجوب والقياديون الآخرون في الحزب الذين وقفوا إلى جانبه في وجه الفريق الذي وقف إلى جانب حكم النميري، في معرض تقييمهم للحكم في ضوء انعقاد المؤتمر التداولي، أن التغيير الذي تم (ثورة 25 مايو/أيار 1969) إنما تم "في ظروف لم تكن حركة الجماهير في حالة نهوض، وتمّ التغيير في السلطة عن طريق العنف وبواسطة مجموعات تقدمية في الجيش النظامي".

- يشرح التقرير تركيبة الجيش السوداني ويطلب بإعادة تنظيم الضباط الأحرار... "ومن أجل إنجاح الثورة الديمقراطية في بلادنا نرفع شعار إشاعة الديمقراطية في القوّات المسلّحة".

- يُطالب أيضاً بـ "مواصلة تطهير الجيش من العناصر اليمينية" وتغيير القوانين العسكرية وفرض التجنيد الإجباري و"مكافحة الاتجاهات الرامية إلى وضع امتيازات للضباط".

- يعترف بأن النظام أنجز خطوات مهمة في ما يختص بتحرير التجارة الخارجية والعمل المصرفي من التبعية الاستعمارية.

- يُطالب بإشاعة الديمقراطية وكذلك بـ "الثورة الديمقراطية الثقافية".

- يُطالب أخيراً بالتطبيق الفعلي لنظام الحكم الذاتي الديمقراطي في جنوب البلاد.

**الوثيقة الثالثة** - هذه الوثيقة تتعلق بأعمال اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوداني (دورة تشرين الأول/أكتوبر 1970) وهي من الدورات الأكثر حساسية في تاريخ الحزب. وفي هذه الوثيقة يعرض جناح عبد الخالق محجوب الكثير من المطالب ويعترف بأن الانقسام الذي شهده الحزب لا يمكن منعه. إلا أنه في الوقت نفسه يدعو إلى "شن حملة لتصفية الأفكار اليمينية والتصفية" في الحزب وإلى "أن تتخذ جميع هيئات الحزب مواقف حاسمة ضد العناصر المُنقسمة وفقاً لأحكام لائحة الحزب".

- إنه يحذّر من "بيافرا أخرى" في جنوب السودان إذا لم يتم حل هذه المشكلة المُستعصية. وفي هذا السبيل يقدم محجوب من أجل حل مشكلة الجنوب اقتراحات عدة تدور كلها في نطاق المعالجة السلمية والتثقيف والتوجيه.

- وفي نطاق مشكلة جنوب السودان يُشير عبد الخالق محجوب إلى أن القوميّين العرب حاولوا تأسيس قاعدة سياسية لهم وسط الجنوبيين "قبادوا، بحزر وهدهو، يشكّلون حلفاً بينهم وبين عناصر انتهائية معيّنة وسط المثقفين الجنوبيين...".

- في إشارته إلى موضوع الانقسام يقول عبد الخالق محجوب "إن قادة الانقسام هرجوا وابتدلوا واستولوا على بعض ممتلكات الحزب التي كانت تحت مسؤولياتهم من أجهزة طباعة وعربات وأموال حزبية، وشهروا سلاح الإرهاب بإسم الحكومة في وجه رفاقنا المناضلين".

- الجزء الأخير من الوثيقة الثالثة عبارة عن خطابين لإثنين من قادة الحزب هما محمد إبراهيم نُد وإبراهيم زكريا، ألقيا في اللجنة

المركزية. ويهاجم الخطابان بعنف قادة الانقسام.

**الوثيقة الرابعة** - هذه الوثيقة عبارة عن بيان أصدره المكتب السياسي للحزب يوم 18 آب (أغسطس) 1970 حول "الوضع العربي الراهن"، وفيه يحدّد جناح عبد الخالق محجوب موقفه بصراحة من قرار مجلس الأمن المؤرخ 22 تشرين الثاني (نوفمبر) 1967.

**الوثيقة الخامسة** - هذه الوثيقة عبارة عن بيان وضعه الحزب الشيوعي في اجتماع برئاسة عبد الخالق محجوب وحدّد فيه الأسباب التي من أجلها يُعارض الاتحاد الثلاثي بين مصر وليبيا والسودان. وفي هذا النطاق يقول البيان إن السودان "ينكّون من قوميات عربية وزنجية وغيرها" وأن أي تقارب يدخله السودان "ينبغي إلّا يكون في صورة محور يقام في وجه قوى تقدمية عربية أخرى".

- يرى هذا البيان أيضاً أن إعلان الاتحاد من دون استشارة شعوب مصر والسودان وليبيا "يمكن أن يؤدي إلى بلبلة الجماهير وإلى تقوية مراكز النشاط المُعادي للثورة في بلادنا".

- يشير البيان إلى "تعصبات مختلفة في قضية العلاقات المصرية - السودانية".

- يدعو البيان إلى طرح موضوع الاتحاد بين مصر والسودان وليبيا على الاستفتاء الشعبي بعد مناقشة جماهيرية واسعة وحرّة. (وكان السادات والقذافي والنميري أعلنوا الاتفاق على قيام الاتحاد الثلاثي يوم 8 تشرين الثاني/نوفمبر 1970).

**الوثيقة السادسة** - هذه الوثيقة عبارة عن مجموعة وثائق أصدرها الفريق الحزبي المناوئ لعبد الخالق محجوب موضحاً فيها موقفه وملقياً بتبعه نتائج الانقسام على تصلب محجوب و"يمينته".

وأهمية وثائق الفريق المناوئ لمحجوب تتمثل في الآتي:

- إنها تشرح ظروف الحزب قبل ثورة 25 مايو (أيار) 1969 التي قام بها النميري. وتشرح استطراداً قضايا الحزب ومطالبه وخطته ومفهومه للثورة والانقلاب.

- إنها تكشف الإطارات الحزبية والأجهزة التابعة للحزب. وعلى سبيل المثال "مكتب التعليم الحزبي" و"مكتبة الحزب الماركسي" و"حلقة الكادر المتفرّغ" و"أجهزة الطباعة الداخلية".

- إنها تتحدث عن اجتماعات سرية عقدها الحزب، وعمّا دار خلالها من مناقشات. وأبرز هذه الاجتماعات تلك التي عقدها "المؤتمر التداولي".

- ولأنها تعكس مواقف الجناح الذي يقف ضد عبد الخالق محجوب، فإنها تسوق الاتهامات ضد محجوب وقيادته. وعلى سبيل المثال فإنها تتهمه بالعمل لتصفية الحزب "تحت تأثير تجربة الجمهورية العربية المتحدة". وفي هذا المضمار تنسب إليه قوله "إن حل الشيوعيين المصريين لحزبهم كان إجراءً سليماً".

بالإضافة إلى ذلك إنها تقول أنه عندما زار عبد الخالق محجوب الاتحاد السوفياتي صيف 1966 "قدم الرفاق السوفييات له نصيحة أخوية موضحين خطأ الاتجاه الرامي إلى تصفية الحزب".

- إنها تقول إن هدف محجوب كان الاستيلاء على السلطة وتلمّح إلى أن الشيوعيين في السودان مسلّحون إلى درجة القدرة على القيام بثورة.

- إنها تتهم محجوب أيضاً بإقفال الباب أمام من يريد الانخراط في صفوف الحزب، وبأنه يميني تحالف سراً "من وراء ظهر الحزب" مع السيد الصادق المهدي. وتقول "إن لعبد الخالق محجوب خطأ يمينياً ظل يبشّر به منذ فجر الاستقلال حتى يومنا هذا وكان يخفي الاتجاه وراء الشعارات اليسارية".

- إنها تصف قيادة عبد الخالق محجوب بأنها "قيادة متسلطة" وتنسب إليه قوله غير مرة "إنه لا أزمة ثورية ما دام الحزب الشيوعي غير قادر على استلام السلطة". كذلك تنسب إليه قوله إن ما جرى صبيحة 25 مايو (أيار) 1969 (ثورة النميري) "كان انقلاباً عسكرياً وليس عملاً شعبياً مسلحاً قامت به قوى الجبهة الوطنية عن طريق جماعاتها المسلّحة".

- إنها تتحدث عن رشوات وامتيازات نالها قبل ثورة 1969.

وإنها فوق كل ذلك تبرّر تعاونها مع نظام النميري وتسوق انتقادات إلى عبد الخالق محجوب منها أنه لم يرحب بزيارة النميري للاتحاد السوفياتي والصين الشعبية وبقية الدول الاشتراكية في حين أنه أصدر تقييماً موضوعياً للزيارة التي قام بها الفريق إبراهيم عبود للاتحاد السوفياتي عام 1961.

إنها فوق ذلك أيضاً تتهم محجوب بأنه لم يُشارك في ذكرى لينين التي إحتفل بها للمرة الأولى في أواخر 1970 في السودان.

الوثيقة السابعة - هذه الوثيقة عبارة عن مقاطع من مذكرة رفعها الرائد فاروق عثمان حمد الله إلى مجلس قيادة الثورة قبل فترة قصيرة من إقالته وضمَّنها رأيه في موضوع الاتحاد الثلاثي وقضايا داخلية أخرى.